النظرية التوليدية التحويلية

قسم اللغة والأدب العربي

المستوى: السنة الثانية ماستر

التخصص: لسانيات عربية

مقياس: النظريات الدلالية

اعداد: د. محمد فارح

تعد النظرية التوليدية التحويلية من أهم النظريات اللسانية المعاصرة، وذلك لأنها كانت المنعطف الذي أخرج اللسانيات من بوتقة البنيوية إلى ما بعد البنيوية وانفتاح أفاق البحث اللساني على النموذج ما بعد البنيوي وهو النموذج النصي وتحليل الخطاب.

أولا- الاتجاه الفلسفي:

إن الاتجاه الفلسفي الذي بنت عليه المدرسة نظرتها للغة هو الاتجاه العقلي، حيث نلاحظ أن هذا المنهج لم يكن واضحا في كتابات تشومسكي الأولى، وما لبث أن صار أساس منهجها، والاتجاه العقلي يرتكز على ما لانهائية اللغة، فجميع اللغات مشكلة من عدد متناه من الأصوات والكلمات، ولكنها تنتج وتولد عددا لا نهائي من الجمل.

وقد تأثر تشومسكي بالفرنسي ديكارت الذي يرى أن الإنسان يختلف عن الحيوان بالعقل، وأن هذا العقل من أهم خصائصه أنه منتج للغة، والألماني همبولت الذي يعتقد أن اللغة نتاج العقل، وأن اللغة الصوت المنطوق الذي من خلاله يعبر الإنسان عن فكره، فاللغة تنتج داخليا في الذهن ويظهر أثرها خارجيا عبر الصوت والكلمات والجمل.

وعليه فإن تشومسكي يرى أن صاحب اللغة هو المتكلم والسامع المثالي، في مجتمع لغوي متجانس يعرف لغته معرفة كلية، وهذا شرط أساسي وضروري عند تشومسكي؛ لأن الهدف هو معرفة القوانين الإنسانية التي تجعل الإنسان يتميز بهذه القدرة على اللغة.

ويربط تشومسكي اللغة بالتنظيم العقلي حيث نجده يقول: "يرتبط امتلاك اللغة – بحسب علمنا- بنوع من التنظيم العقلي، وليس مجرد درجة أعلى من الذكاء، الأمر الذي يدحض الرأي القائل بأن اللغة البشرية مجرد أنموذج أكثر تعقيدا لشيء موجود أساسا في عالم الحيوان" .

ثانيا-الفطرة اللغوية:

تعد هذه النقطة المنطلق الأساس في نظرية تشومسكي متخذا إياها معيار المقابلة بين الإنسان والحيوان، فالإنسان وإن كان غير سوي قادر على إنتاج الجمل والتعبير بها عما في نفسه، في حين أن أذكى الحيوانات وأكثرها تدربا لا تستطيع ذلك ، فالفطرة اللغوية كما يقول تشومسكي نقطة فاصلة بين ما يميز الإنسان عن الحيوان، فالإنسان يمكنه بفضل هذه الميزة أن يولد الجمل ويعبر بها عن مكنوناته وأحاسيسه حتى ذلك الإنسان غير السوي، في حين أن الحيوان لا يمكنه ذلك أبدا.

ثالثا-مبادئ النظرية:

لهذه النظرية مجموعة من المبادئ التي بنت عليها نظرتها للغة وهي:

1-التوليد:

وهو من أهم المفاهيم في هذه النظرية ويقصد به "القدرة على الإنتاج غير المحدود للجمل، انطلاقا من العدد المحصور من القواعد في كل لغة، وفهمها ثم تمييزها عما هو غير سليم نحويا." فالتوليد إذا خاصية لغوية تمكن المتكلم من توليد عدد لا متناه من الجمل من عدد متناه من الكلمات والحروف، وهذه أحد مميزات اللغة بصفة عامة.

2-التحويل:

ويقصد به "تحويل الجملة إلى جملة أخرى تتشابه معها في المعنى، وذلك مع ملاحظة علاقات الجمل المتماثلة والإجراءات التي تحدث لتجعل الجملة على مستوى السطح تختلف عن الجمل الأخرى" ويتم ذلك من خلال:

-الحذف. -التعويض. -التوسيع. -الاختصار. -الزيادة. -إعادة الترتيب. -التقديم.

فقواعد التحويل تولد عددا كبيرا من الجمل انطلاقا من النية العميقة نحو بنيات سطحية متعددة، وهذا عبر تطبيق القواعد السابقة.

-القواعد الصوتية والصرفية:

وهي مجموعة من القواعد التي تحوِّل المورفيمات إلى سلسلة من الفونيمات، وبمعنى إعادة كتابة العناصر التي تنطق بها، وتطبق القواعد المورفوفونيمية بعد تطبيق القاعدة التحويلية، ومثال ذلك:

فعل + حركة ⟵ فَعَلَ

كتب + فتح ⟵ كتبَ

فعل + ملحقات ⟵ فعل في شكله الأخير

كتب + وا ⟵ كتبوا

-البنية السطحية والبنية العميقة:

يميز تشومسكي بين نوعين من البنى ويرى أن البنية السطحية هي "البنية الظاهرة عبر تتابع الكلمات التي تصدر عن المتكلم"، والبنية العميقة "بمعنى القواعد التي أوجدت هذا التتابع، وهي التي تتمثل في ذهن المتكلم المستمع المثالي، أي هي عبارة عن حقيقة عقلية يعكسها التتابع اللفظي للجملة، أي البنية السطحية" ، إذا البنية السطحية هي البنية الكلامية الملفوظة من لدن المتكلم في صورتها النهائية، والبنية العميقة هي البنية المؤسسة للبنية السطحية، تم التحويل من البنية العميقة إلى السطحية عبر أدوات التحويل المذكورة سلفا: الحذف، التوسيع، التقديم...

والبنية العميقة بنية أساسية لفهم الكلام، ومنحه التفسير الدلالي، موجودة في ذهن المتكلم المستمع يعكسها التتابع الكلامي المنطوق الذي يكوِّن البنية السطحية، والبنية العميقة بنية مجردة تحتوي على كل العلاقات النحوية والوظائف التركيبية والمعلومات الدلالية اللازمة لتفسير الجملة واستعمالاتها الممكنة، عكس ذلك فالبنية السطحية بنية نهائية ظاهرية مستخدمة في سياق ما في سلسلة أفقية من الكلمات.

-الكفاية اللغوية والإنجاز:

يقصد بالكفاية اللغوية القدرة على إنتاج الجمل وتفهمها في عملية تكلم اللغة، وهي أيضا مجموع القواعد الكامنة في ذهن الإنسان، والتي تمكنه من بناء الجمل، فهي تعني امتلاك الآلية اللغوية، هنام عدد من المصطلحات تعبر عن المفهوم نفسه منها: القدرة اللغوية، الملكة اللغوية، الطاقة اللغوية، الكفاءة اللغوية.

الإنجاز أو القدرة على الكلام: هي أمثلة الكلام التي تصدر عن السليقة على نحو لا ينحصر في مواقف الأداء الكلامي.

رابعا-المكون الدلالي في النموذج التوليدي:

في بداية البحث اللساني لتشومسكي نجده أنه أهمل المعنى خاصة في كتابه البنى التركيبية، وانتبه بعد ذلك للأمر فعدل من نظريته وأدخل المكون الدلالي في دراسته اللسانية في كتابه ملامح النظرية التركيبية، وكان العالمان "كاتز" و"فودور" في ذلك الوقت قد قدما نظريتهما الموسومة بـ الدلالة التأويلية، (النظرية التحليلية) دراسة معمقة في علم الدلالة واضعين القواعد الدلالية المتمثلة في القواعد المعجمية والقواعد التفسيرية، وهذا سبب جعل تشومسكي يعيد النظر

في أهمية المكون الدلالي فبادر إلى إدخال هذا المكون في دراسته اللسانية، وعليه سيكون منهجه بعد هذه الالتفاتة على النحو التالي:

1-المستوى المركبي: ويتكون من مكونين أساسيين:

أ-مكون توليدي: يتألف من قواعد تفريعية، تصنيفية، معجمية.

ب-مكون تحويلي: يتألف من قواعد وجوبية، أسلوبية، جوازية

2-المستوى الدلالي: وهو مستوى تفسيري يعمل على البنية العميقة، يعطي للبنى العميقة التفسيرات الدلالية.

3-المستوى الصوتي: وهو مستوى تفسيري يعمل على مستوى البنية السطحية للتركيب.

رغم هذا التحول في نظرية تشومسكي إلا أن العديد من العلماء يرون أن المكون الدلالي غير قادر على تفسير مواد لغوية كثيرة، ووجهت انتقادات كثيرة لها أهمها عدم اهتمامها بالجانب المعنوي وتركيزها المفرط على القدرة التفسيرية.

وعليه سيعيد تشومسكي النظر من جديد في نظريته ليقوم بالتعديل مرة ثانية "بوضع فرضيات جديدة لتبسيط القواعد التوليدية التحويلية وللتغلب على المشاكل ربط تشومسكي التمثيل الدلالي بالبنية العميقة والبنية السطحية وذلك من خلال:

-قاعدة تفسيرية دلالية أولى للبنية العميقة.

-قاعدة تفسيرية دلالية ثانية للبنية السطحية.

أهم المصادر والمراجع:

-نعمان بوقرة، المدارس اللسانية المعاصرة.
- السعيد شنوقة، مدخل إلى المدارس اللسانية.
-نعوم تشومسكي، اللغة والعقل، تر: بيداء العلكاوي.
-شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة.
محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة.